٨ عشرة أيام حافلة

قدم السفير البريطانى السير مايلز لامبسون إنذاراً إلى فاروق بعزل على ماهر يوم ١٧ يونية .
واستقال على ماهر فعلاً يوم ٢٣ يونية .
ولم يقبل فاروق الاستقالة إلا يوم ٢٧ يونية .
وكانت عشرة أيام حافلة .
قال على ماهر يشرح مقدمات الأحداث . . أمام القضاء أيضاً . فلا مصدر مصرى لنا . . إلا أقوال الزعماء أمام القضاء بعد حلف اليمين :
. . أعلنت إيطاليا الحرب ، فاستدعيت السفير البريطانى وقلت له :
سأعلن تصريحاً بمجلس النواب . . وعرضت عليه صورة التصريح ، وهو أن مصر لن تدخل الحرب إلا إذا هوجمت المدن المصرية ، أو مواقع جنودنا ، أو وقع عليها اعتداء بدون استفزاز من جانبنا .
قال السفير :
– وإذا هاجم الجنود الإيطاليون . . الجنود البريطانيين ؟ .
قلت :
– لا شأن لنا بذلك .
وكانت القوات البريطانية – والحديث مستمر على لسان على ماهر – ضعيفة فى مصر . كل ما عندهم ٢٨ مدفعاً مضاداً للطائرات . . منها ٢٠ مدفعاً فى الإسكندرية لحماية

الأسطول . . و٨ لحماية الورش ، ولا يوجد فى باقى القطر شىء يحميه .

وكان يوجد ٧٠ ألف إيطالى بمصر ، منهم ١٢ ألفاً فى سن الجندية ، ولا يمكن للبوليس العادى أن يعتقلهم جميعاً . ولا أريد الاستعانة بالجيش البريطانى .

لذلك قلت للسفير إنى سأصدر أمراً بنزع السلاح الموجود فى يد جميع السكان . ويجب أن يشمل هذا الأمر البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين . ومن الواجب أن أعلن أنه سيحدث تفتيش وإلا كان الأمر بلا نتيجة .

وكان يجب أن أفتش فعلاً بيوت إنجليز . . إلخ . وقد فتشنا حتى القنصليات الإيطالية . وضبطنا أسلحة عند الإيطاليين . . وكان الإنجليز ممتنين لذلك . .

* * *

وقد قدم السفير البريطانى عدة طلبات .

الأول : اعتقال الوزير الإيطالى المفوض .

الثانى : تفتيش المفوضية .

الثالث : تفتيش أوراق الدبلوماسيين الإيطاليين وجيوبهم وقت السفر . .

الرابع : ألا أسمح لإيطالى بالسفر . . عدا السفير وموظفى المفوضية .

قلت للسفير البريطانى :

– إذا اعتقلتم الكونت جراندى سفير إيطاليا فى لندن . . فأنى أطبق نفس المعاملة فى مصر .

أما التفتيش فأرفضه . .

وإذا فتشتم أنتم الدبلوماسيين الإيطاليين . . فلن أحتج .

ولكن يجب أن أعرف موقف المصريين فى روما .

وقد طلب ماتزوليني الوزير المفوض سفر ٣٥ إيطالياً غير الدبلوماسيين ، فلم أجب بنعم . . أو لا . .

وتلقى لامبسون تعليمات من لندن بأن يسافر من مصر ٨٠ إيطالياً ، وفعلاً سافروا بقطار خاص إلى حدود ليبيا . . وعومل المصريون فى روما نفس المعاملة .

* * *

. . . نشطت الدعاية الألمانية والإيطالية قبل الحرب لاكتساب صداقة الشعب المصرى .

وزار المارشال بالبو مصر مرتين . . وفى كل مرة أعلن تأييده لاستقلال مصر . .

ووصل رئيس الغرفة التجارية المصرية إلى برلين فاحتفى به هتلر نفسه . . وأقام حفلاً لتكريمه . . ومنحه وساماً .

فلما قامت الحرب واشتركت فيها ألمانيا وإيطاليا . أعلنت محطات الإذاعة الألمانية تقديرها لموقف مصر الخاص . . ولم تعتبر ما تقدمه لإنجلترا من معاونة – فى حدود المعاهدة – عملاً عدائياً ، لأن مصر لا تملك الامتناع عن تقديمه . . وجنود إنجلترا منتشرون فى بلادها .

وفى هذا ما فيه من تأييد ضمنى للحكومة المصرية ، وتشجيع لها على عدم المضى لأكثر من ذلك فى مساعدة بريطانيا .

* * *

. . وعبر الدكتور محمد حسين هيكل باشا فى مذكراته عن موقف حكومة على ماهر من انتصارات الألمان فقال :

«كان الإنجليز الرسميون ، وغير الرسميين ، فى مصر يشعرون – فى أعماق أنفسهم – بهول ما يصيب أبناء وطنهم فى ميادين القتال . . ويسمعون أن عبد الرحمن عزام . . الذى أصبح وزيراً للشئون الاجتماعية ، وصالح حرب وزير الدفاع يتحدثان فى كل مجلس عن انتصارات الألمان ، وهزائم الإنجليز ، فلا عجب أن تمتلئ نفوس السفير البريطانى ، وأعوانه فى السفارة والمشيرين من الإنجليز المقيمين فى مصر . حفيظة على الوزارة التى رفضت مجاراتهم فى إعلان الحرب . . وأصرت على الرفض» .

واجتمع هيكل باشا بالسير سيسيل كامبل مدير شركة ماركونى ورئيس الجالية البريطانية فى مصر . . فكان كامبل صريحاً فى أن وزارة على ماهر تنفذ المعاهدة بسخاء ، ولكنها تنفذها تنفيذ الكاره الساخط ، لا الصديق الحريص على معاونة صديقه .

وعلى هذا الأساس ، كما يرى هيكل باشا : «كانت الحالة النفسية القائمة بين الوزارة ، وبين السلطات البريطانية مشوبة بقدر عظيم من عدم الثقة ، وعدم الاطمئنان إلى المستقبل .

وكان السفير البريطانى من أشد البريطانيين تأثراً بهذه الحال النفسية .

ولم يكن يخفى فى أحاديثه لأصدقائه . ومعارفه . من المصريين ما يخالج نفسه من هذا الشعور كما أنه لم يكن يقف فى حديثه عن موقف مصر – من إنجلترا - عند الوزارة . . بل كان يتخطى الوزارة إلى العرش وصاحبه ، ويذكر أن (فاروق) ألمانى الهوى ، يسر لانتصارات النازية ، ولهزائم إنجلترا» .

واتهم الإنجليز صالح حرب باشا وزير الدفاع بأنه سلم للألمان خطط الإنجليز الحربية للدفاع عن مصر . وقال الإنجليز إنهم اكتشفوا ذلك عندما عثروا على وثائق عند هجومهم فى

الصحراء . على القوات الألمانية .

. . وعندما نشرت مجلة « آخر ساعة » نبأ اكتشاف هذه الخطة فصل الإنجليز الدكتور محمد عوض محمد من منصبه فى الرقابة على الصحف .

ولخص السير مايلز لامبسون رأيه فى على ماهر فى عبارة واحدة بعث بها إلى وزارة الخارجية البريطانية فى أثناء الحرب .

قال :

« إن سر مصائبنا فى مصر يرجع إلى على ماهر » .

* * *

قبل شهر واحد من إعلان إيطاليا الحرب تولى تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية .

وتشرشل يتخذ قرارات حاسمة ، على العكس من تشمبرلين . مما أعطى للامبسون صلاحيات أكبر .

. . وتجد القوات البريطانية أضواءً – كما ذكر من قبل – تنبعث من قصر المنتزه ، فتعتبر أنها إشارة لغواصات الأعداء . . مما يضاعف هوة الخلاف بين السفير وفاروق .

ويتضاعف اللوم فوق رأس لامبسون عندما يجتمع به الجنرال ويفل القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، ويلومه – أى يلوم السفير – لأنه لم يكن حازماً مع على ماهر ولم يرغمه على إعلان الحرب ضد إيطاليا .

وتزداد الهوة اتساعاً بين السفير والحكومة ، لأن على ماهر جمع البرلمان فى جلسة سرية بعد ٤٨ ساعة من دخول إيطاليا الحرب ليقول :

« إن سياستنا كما هى . . تجنيب مصر ويلات الحرب ، مع الوفاء بتعهداتنا . . وتقديم أكبر معونة ممكنة للحليفة » .

ويوافق على ماهر على قطع العلاقات السياسية مع إيطاليا . واعتقال رعاياها . عدا رجال القصر الملكى من الإيطاليين .

وبرغم أن على ماهر وافق على كل الإجراءات والاعتقالات التى طلبتها بريطانيا بالنسبة للألمان والإيطاليين فإن السفير وحكومته يضيقان بالنقاش وطول المباحثات ، والتردد والمناورة . . كما أن السفير يشك فى ميول على ماهر مع ألمانيا وإيطاليا ، لذلك يبرق السفير – لحكومته – ويحصل منها على تفويض ، فيسافر إلى الإسكندرية ، ويتجه إلى قصر المنتزه . . بعد أسبوع – على وجه التحديد ١٧ يونية – ليقرأ لفاروق مذكرة مكتوبة .

«فى هذا الوقت بالذات . . فإننا لسنا مستعدين ، لا نحن ولا جلالتك ، لبقاء رجل فى عجلة القيادة ، لا نثق فيه ، لا نحن ولا الشعب المصرى .

إن على ماهر يجب أن يخرج ، ويخرج بسرعة» .

أجاب فاروق :

– لا أستطيع الالتزام بشىء ، وأطلب إعطائى مهلة للتفكير . ثم سأل فاروق السفير :

– ما هى الحكومة البديلة التى تنصح بها ؟

أجاب لامبسون :

– من الواضح أنى لست الذى أقول لك . . ولكن العقل . . وكذلك رغباتنا . . تمليان أنه يجب أن يرأس الحكومة شخص مخلص . . ينفذ المعاهدة نصاً وروحاً . .

ومن الضرورى أن تستند الحكومة الجديدة إلى تأييد الشعب .

وأضاف :

– من المؤكد أننا لا نرغب فى أن نجعل إعلان مصر الحرب . . شرطاً لتشكيل الحكومة . .

ولكن بما أن جلالتك تطلب رأيى فإنى لا أقترح أسماء .

والطريق السليم هو أن تستدعى جلالتك للاستشارة زعيم المعارضة محمد محمود باشا . . وزعيم حزب الأغلبية مصطفى النحاس باشا .

وكرر لامبسون ذلك ٣ مرات .

قال فاروق :

– من الصواب لتغيير الحكومة أن أستشير زعيم المعارضة . . أما النحاس فقد أهاننى ، وهو يجلس فى نفس الكرسى الذى تجلس عليه الآن .

يشير فاروق بذلك إلى الخلافات المتعددة والصراع الدستورى بينه وبين النحاس .

رد لامبسون :

– لا أحد . . وبالتأكيد لسنا نحن ، الذين نصر على أن يشكل النحاس الوزارة . . فنحن نعرف صعوبة وصول جلالتكم إلى هذا المدى . . ولكن ما أقترحه أقل من ذلك ، وهو لصالح البلاد والعرش .

. . هذه الكلمات تدل على أن الإنجليز فى ذلك الوقت لم يصروا على تكليف النحاس بتولى الوزارة . . فإن الموقف العسكرى لم يكن قد تدهور بعد .

. . حاول فاروق أن يلجأ إلى التهويش . . على حد تعبير لامبسون لحكومته . . ولكن السفير قال :

إننا جادون للغاية فى أن يتولى الوزارة : صديق . . وحكومة مخلصة تقف معنا . . وتتعاون فيما نريد . . وليس شرطاً أن تعلن الحرب .

وكانت الاستراتيجية البريطانية قد تغيرت ، ووجدت بريطانيا أن من مصلحتها ألا تعلن مصر الحرب ، لأن ذلك يجنبها الغارات ، وتبقى – مصر – قاعدة حربية آمنة لبريطانيا !

وأشار السفير – تلميحاً – إلى أن الجنرال ويفل ينتظر – فى قلق – عودته ليعرف مدى استعداد جلالته لتنفيذ الخطوط المتفق عليها بين السفير وحكومته . . ورجاه ألا « يلعب بالنار » بل يعجل بإصدار قراره ولا يجعل العناصر الخطرة تضلله وكذلك على ماهر « الملتوى » . . !

وكرر السفير أنه جاد . .

قال الملك :

– إنى واثق من ذلك ، وأنا جاد أيضاً . . ولا أخفى ذلك .

ولكن الملك يفاجئ السفير بأنه كملك مصر ، فإن واجبه يحتم عليه أن يبقى شعبه بعيداً عن الجانب الخاسر !

وكانت هذه المرة الأولى التى يواجه فيها فاروق السفير البريطانى صراحة بآرائه وميوله الألمانية . . فى تلك اللحظة لم يكن السفير يعرف أن فرنسا قد استسلمت . . وبدا من لهجة فاروق وأسلوبه . . أنه يعلم .

أجاب لامبسون :

– مصر . . معنا . . تسبح أو تغرق . . ولذلك فمن الأفضل أن نسبح جيداً وننتصر فى النهاية .

ويجب أن تعود إلى القاهرة فهناك حاجة إليك هناك . . وآمل أن أسمع منك قريباً أنك اتبعت نصيحتى . .

* * *

تجنب السفير استعمال التهديد المباشر . . ولم يقدم إنذاراً صريحاً . . ولكنه طالب الملك – علناً – بتشكيل حكومة صديقة لإنجلترا .

وخلال الاجتماع لم يستطع السفير أن يضغط على فاروق أكثر من ذلك . . كما أن سلوك فاروق كان وديًّا .

وبعد انتهاء الاجتماع ، أبلغ السفير حسنين بمضمون الحديث ، وطلب منه تحذير الملك .

. . ألح حسنين فى إعطاء على ماهر فرصة أخرى . . وكان رد السفير كلمة واحدة :

– مستحيل . . . !

* * *

. . يخشى السفير أن يتشبث فاروق بموقفه ، فيعود إلى القاهرة ، ويجتمع بأعضاء سفارته والجنرال ويفل ، لبحث الخطوة التالية إذا رفض الملك أن يعين حكومة صديقة للإنجليز :

. . هنا يصاب السفير بالدهشة من موقف الجنرال ويفل . .

. . لقد وجده متردداً فى اتخاذ خطوة حاسمة ضد الملك ، فيكتب – لامبسون – فى مذكراته :

« مهما كان الرجل العسكرى بارزاً فإنك – معه – لا تعرف أين . . ؟

إنهم – العسكريون – ينفثون الرعد فى لحظة ، وعندما يستجيب لهم الإنسان يجدهم . وقد غيروا آراءهم . !

وعندما تبدأ تظهر نتائج العمل القوى الذى دعوا إليه فإنهم إما أن يغيروا آراءهم تماماً . أو يدخلوا تعديلاً عليها .

إن ويفل كان معنا – مع وزارة الخارجية البريطانية – قلباً وقالباً . . ولكنه يتراجع الآن وينصحنا :

من الأفضل أن نأخذ ما هو ممكن .

إن ويفل – كما يقول السفير – لا يفهم الموقف السياسى الداخلى فى مصر . والحقيقة أن ويفل تعلم درساً خالداً وهو يكتب تاريخ حياة أللنبى . . إن وزارة الخارجية البريطانية فى سنة ١٩٢٤ وجهت اللوم إلى أللنبى بسبب ما جاء فى إنذاره إلى سعد زغلول . . وكان هذا اللوم مقدمة لاستقالة أللنبى » ! .

* * *

وتنتشر فى القاهرة إشاعة بأن (فاروق) يفكر فى الهرب .

ويهرع ويفل إلى السفير البريطانى ليبلغه فيكون جواب السفير :

– إن تعليمات وزارة الخارجية لى هى منع « الغلام » من الهرب إلى إيطاليا .

قال ويفل :

– من الأفضل أن نتركه يهرب ونتهمه بخيانة بلاده .

أجاب السفير :

– إذا هرب فسيطالب بعرش مصر . . !

وبرغم أن على ماهر سياسى قديم يعرف أصول لعبة الوزارات فى مصر . . فإنه يكتب فى خطاب استقالته لفاروق :

« أصبح الاستمرار فى الحكم متعذراً لأسباب قاهرة خارجة عن إرادتنا ، وإرادة الشعب المصرى » .

. . يشير بذلك إلى تدخل الإنجليز . . !

وتنشر جريدة المصرى خبراً يشير إلى أن الإنجليز لم يتدخلوا ضد على ماهر . . ويعلق مصطفى النحاس على ما نشرته المصرى . فيتوجه على ماهر إلى مجلس الشيوخ ، ويلقى بياناً يطعن فيه طعناً جارحاً فى الإنجليز وموقفهم من مصر ، وتصرف السفير الاستبدادى مع الوزارة المصرية يقول فيه :

« توخيت إجابة طلبات الخليفة – مع بريطانيا – مادامت لا تجر مصر إلى حالة الحرب . ولكن الحكومة رأت فى بعض الطلبات أن تؤدى بذاتها – أو بمجموعها إلى حالة الحرب » !

وتظل استقالة الوزارة معلقة ٤ أيام .

وفاروق حائر . .

لم يهرب . . كما ظن الماريشال ويفل . . بل هو حائر يفكر . . قلبه مع الألمان والإيطاليين .

وحكومته تنفذ رغبات الإنجليز دون أن تسعى لاكتساب عداوة الألمان أو الإيطاليين . . اعتقاداً بأن النصر لها .

إن (فاروق) أمام الإنذارات البريطانية ، العلنية والمقنعة أو السافرة . . لا يستدعى زعيم المعارضة . وزعيم الأغلبية ، ولا يتصرف وحده بسرعة ، بل يستدعى – عادة – كبار الزعماء السياسيين للتشاور . . محاولاً إقناعهم بالموافقة على رأيه وتنفيذ أغراضه . . !

وفاروق يمضى فى الاستجابة لتهديد السفير البريطانى ، فيدعو للمشاورات مصطفى النحاس باشا .

. . ولكن زعماء مصر لا يتفقون . .

اقترحوا فكرة وزارة ائتلافية . . اقتداء ببريطانيا . . فإن تشرشل شكل وزارة ائتلافية .

ولكن النحاس يرفض فكرة الوزارة الائتلافية .

وأثيرت فكرة تشكيل وزارة محايدة . . فقال النحاس :

– لا توجد وزارة محايدة . . وإن وجدت لن تحصل على تأييد الأحزاب . .

واختلف الجميع . .

ولم يتفقوا على تأليف وزارة ائتلافية تضم الوفد والأحزاب الأخرى . . أبداً . أبداً . . !

هذه هى وجهة نظر الإنجليز فيما جرى وذلك من خلال وثائقهم . ولكن ما هى وجهة نظر المصريين . . ؟

إن عبد الوهاب طلعت رئيس ديوان فاروق بالنيابة ووكيل الديوان السابق شهد كل هذه الأحداث ، وسجلها فى محاضر رسمية . . وقد نشر محاضر اجتماعات لامبسون بفاروق . . والملك بالزعماء . . ومداولات ومناقشات هؤلاء الزعماء . . ونقاط اتفاقهم القليلة . . وخلافاتهم الكثيرة التى لم تنته إلا بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . وحل الأحزاب كلها . . !

إن عبد الوهاب طلعت يعترف بأن السفير البريطانى السير مايلز لامبسون طلب رسمياً إقالة على ماهر .

قال عبد الوهاب طلعت :

« فى منتصف الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ١٧ يونية ١٩٤٠ بقصر المنتزه ، وجه السفير البريطانى إلى الملك - شفاهة - تبليغاً من اللورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية . فطلب إليه الملك تدوين هذا التبليغ كتابة . . فانتحى السفير ركناً فى غرفة الملك . وكتب بالقلم الرصاص ما يلى :

« من الواضح أن على ماهر لا يجرؤ على مواجهة الصعاب والأخطار التى تنطوى عليها حتماً الحالة الحاضرة بالنسبة لمصر .

وحتى إذا أجابنا إلى مطالبنا فإنه لا يخفى أن ذلك مخالف لإرادته ورأيه ولا يمكن أن يستمر الحال على ذلك .

وبناء عليه فإن تعليماتى إليكم هى :

« أن تخبروا الملك (فاروق) أن أسوأ سياسة فى وقت الحرب ، إنما هى سياسة الشك .

إن موقف على ماهر لا يتفق مع روح المعاهدة . ولا يمثل شعور مصر ، والشعب المصرى ، بل لا يخدم مصالح مصر العليا .

ومن الضرورى والحالة هذه تأليف حكومة أخرى » .

وعلى أثر ذلك ، وصاحب هذه الرواية هو عبد الوهاب طلعت أيضاً ، عاد الملك إلى قصر عابدين ووجهت - أى طلعت - دعوة للاجتماع بالقصر فى ٢٢ يونية ١٩٤٠ - للمداولة فى الموقف المذكور . . إلى على ماهر ، مصطفى النحاس ، أحمد زيور ، إسماعيل صدقى ، عبد الفتاح يحيى ، محمد محمود خليل ، أحمد ماهر ، محمد صالح حرب ، محمد توفيق

رفعت . محمد حلمى عيسى . محمود بسيونى . محمد بهى الدين بركات . محمد حافظ رمضان . الشيخ مصطفى عبد الرازق وعبد الحميد بدوى .

وكان من بين الحاضرين – بطبيعة الحال – عبد الوهاب طلعت . .

وحضر الملك فاروق إلى قاعة الاجتماع ، وخاطبهم قائلا : إنه « دعاهم ليقف على آرائهم فيما طلبته الحكومة البريطانية بلسان سفيرها من تغيير حكومة على ماهر . بصفتهم زعماء ، لهم من التجارب ما يسمح لهم بإبداء الرأى فى هذه المسألة ، وأنه يترك لهم حرية البحث .

وناشدهم أن يضعوا مصلحة البلاد العليا نصب أعينهم ، وألا يفرطوا فى كرامة مصر ، وتضحية كل شىء فى سبيل صيانة هذه الكرامة . وأنه يدع ذلك فى أعناقهم ، ويرغب إليهم ألا يتفرقوا إلا وهم متفقون على رأى .

* * *

وبعد أن غادر الملك قاعة الاجتماع بدأ على ماهر يشرح موقفه من طلبات الإنجليز ، وانتهى إلى القول بأن كل ما طلبوه تقريباً قد أجيب .

وأثر مناقشات طويلة دونها عبد الوهاب طلعت فى ١٢ صفحة انتهوا إلى القرار التالى :

عرض أمر التبليغ البريطانى على الهيئة ، فأبدى مصطفى النحاس رأيه فيه بأنه – من غير شك – ليس لدولة أجنبية أى حق فى التدخل فى تعيين وزارة فى بلد مستقل كمصر .

إن المعاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى تقضى من الطرفين أن ينفذاها بالروح التى وضعت بها .

وفيما يختص بالوزارة المصرية ، فإنى أعلم أن رغبة الشعب المصرى متجهة إلى تعيين وزارة جديدة محايدة ، يرضى عنها جميع الأحزاب ويؤيدونها ، وتجرى انتخابات جديدة حرة فى الوقت الذى تسمح به الظروف .

وهذا الحل الذى يمثل ، فى رأيى ورأى إخوانى أعضاء الوفد المصرى ، تضافر الأمة المصرية لمصلحة البلاد فى الظروف الخطيرة التى تجتازها » .

ورأى بقية الأعضاء أن الخطة التى انتهجتها الوزارة فى تنفيذ المعاهدة تتفق مع روحها التى أشار إليها مصطفى النحاس . وقد لقيت فوق ذلك تأييد جميع هيئات الأمة وطبقاتها .

كما يرون أنه تلقاء تصميم على ماهر على الاستقالة أن يترك الأمر إلى حكمة الملك فاروق . واثقين أنه سيوجه مصائر البلاد إلى خيرها وسعادتها » .

وبعد يومين – أى فى ٢٤ يونية – دعى لمقابلة فاروق بقصر عابدين . . مصطفى النحاس ، ومحمد محمود خليل ، وأحمد ماهر ، وعبد الفتاح يحيى ، ومحمد حلمى عيسى ، ومحمد

حافظ رمضان ، والشيخ مصطفى عبد الرازق .

وقال لهم الملك :

– إن على ماهر رفع استقالته ، وقد قبلتها وكلفته الاستمرار فى العمل إلى أن تؤلف وزارة جديدة .

وقد استدعيتكم اليوم لأتعرف رأيكم فيمن يرشح لتأليف وزارة ممثلة لجميع الأحزاب – بقدر الإمكان – وتحوز تأييد البرلمان .

وأود أن تجتمعوا الآن مع بعضكم للمداولة فى ذلك ، وأرجو أن تصلوا إلى اتفاق تتحقق به مصلحة البلاد .

وبعد أن خرج عقدوا اجتماعاً حضره عبد الوهاب طلعت الذى سجل كل المناقشات . . وهو راويها :

تكلم مصطفى النحاس فقال :

– إن النطق الملكى بهذا الشكل لا يمكن به الوصول إلى اتفاق إذا بقينا عند الأسس التى وضعت : وزارة تمثل جميع الأحزاب . هذه يمكن تحقيقها بالطريقة التى وضعتها فى اقتراحى منذ يومين . . وهى وزارة محايدة تحوز رضاء جميع الأحزاب . ويكون لنا جميعاً رأى فى تكوينها ، ولا يمكن أن نتحكم فى أشخاصها . يجب أن تتوفر فيها فكرة تمثيل الأحزاب . وأن الأحزاب تؤيدها ولأجل أن تؤيدها الأحزاب يجب أن يكون لنا رأى فى اختيار رئيسها وأشخاصها لتحقيق فكرة رضاء الجميع .

كلمة « بقدر الإمكان » التى جاءت فى حديث الملك نحاول أن نحققها .

ولكن كلمة « يؤيدها البرلمان » هذه لا يمكن قبولها ، لأنى كما قلت من قبل لا يمكن أن أرضى عن أى وزارة ، أو أوافق على وزارة تستند إلى مجلس النواب الحالى ، بل الوزارة المحايدة تعلن حل مجلس النواب بمجرد تشكيلها ، لأن الوفد غير ممثل فى مجلس النواب تمثيلاً صحيحاً .

وأما الشيخ مصطفى عبد الرازق فقال :

– إن الظروف خطيرة ، ولابد من مواجهتها مجتمعين .

ونقطة الخلاف هى :

– هل نواجهها بوزارة محايدة تؤيدها الأحزاب ، أو بوزارة قومية وأول ما يتجه إليه النظر تأليف وزارة قومية .

وسأل مصطفى النحاس عما إذا كان له اعتراض على ذلك ؟

فقال مصطفى النحاس :

– الوزارة القومية دلت التجارب على أنها وزارة ضارة وغير منتجة ، ونحن فى ظروف خطيرة . فلا يصح أن نعيد التجربة .

وقال الدكتور أحمد ماهر :

– إن أحسن مخرج للحالة هو ما جاء بالنطق الملكى وتأليف وزارة تمثل جميع الأحزاب بقدر الإمكان ويؤيدها البرلمان . ولا أوافق على حكم البلاد من غير رقابة برلمانية .

حاول الحاضرون فى إثناء النحاس عن موقفه ، وقبول وزارة قومية برئاسته فقال :

– هذا محال . .

وأخذ يعدد الأسباب التى تجعله يتمسك برأيه .

وانتهى الاجتماع إلى غير اتفاق .

ويستمر عبد الوهاب طلعت فى رواية التفاصيل :

« عرضت آراء الزعماء على الملك ، ثم أبلغتهم أن رغبة الملك تتجه إلى حل الموقف بطريقة دستورية . وأنى سأتلقى أوامر الملك وأتصل بهم .

وللوصول إلى حل تحمد عاقبته . . ظللت أوالى الاتصال بزعماء الأحزاب – المستقلين ثلاثة أيام . وكان محدداً لمقابلة مصطفى النحاس يوم ٢٦ يونية فى كفر عشما – محافظة المنوفية .

* * *

واستدعى السفير البريطانى أحمد حسنين الأمين الأول للملك إلى دار السفارة فى الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم نفسه – ٢٦ يونية – وأملى عليه التبليغ الآتى :

« إن السفارة على بينة من نشاط على ماهر منذ تقديم استقالته مما يسبب ارتباكاً فى الحالة .

يجب أن يكون عمل على ماهر إدارياً محضاً إلى أن تؤلف « الوزارة الجديدة » .

يجب على الملك دعوة مصطفى النحاس فى الحال وقبول نصيحته : أى بتشكيل وزارة حسب مشورته . ووجهات نظر النحاس معروفة من قبل ، وهى تأليف وزارة محايدة .

إن تنفيذ المعاهدة تنفيذاً يتفق مع نصها وروحها يقتضى فى الظروف الحاضرة أن أكبر هيئة شعبية – وهى الوفد – يجب أن يكون مسانداً للحكومة . فإذا ثبت استحالة قيام وزارة محايدة فلا مفر من وزارة وفدية خالصة . وفى كلتا الحالتين فإن مسؤلية تنفيذ المعاهدة يكون على عاتق رئيس الوفد المصرى الذى فاوض فى المعاهدة » .

* * *

ويتوجه عبد الوهاب طلعت إلى النحاس فى الثانية والنصف من بعد ظهر الأربعاء ٢٦ يونية ١٩٤٠ . . أى بعد ساعة ونصف من التبليغ البريطانى .

ولعل أغرب ما بدأ به اجتماع طلعت – بالنحاس – حسب رواية طلعت اتفاقهما على أن يدون كل منهما محضراً بكل ما يجرى من حديث . . !

سأل عبد الوهاب طلعت النحاس عن اقتراحاته من الوجهة العملية فأجاب :

إذا أخذ بفكرة الوزارة المحايدة يكون العمل كما يأتى :

١ – تتألف الوزارة رئيساً وأعضاء من محايدين .

٢ – هذه الوزارة يرضى عنها جميع الأحزاب ، أو من يرغب فيها من الأحزاب .

٣ – يساند هذه الوزارة من يرغب فيها من الأحزاب ، ويداومون الاجتماع لمساعدتها فى تصريف الأمور ، وفى مراقبتها .

٤ – تمهد الوزارة للانتخابات الحرة ولا بأس من ترك البرلمان فى عطلة من غير اجتماع إلى الوقت الذى يرغب فيه فى اجتماع البرلمان ، فيحل مجلس النواب عندئذ ، وقبل اجتماع البرلمان ، وعلى أى حال يتم الحل قبل بداية الدورة البرلمانية بشهرين .

٥ – الوزارة المحايدة وكيف تشكل :

رئيس الوزراء : يصح أن يكون سيف الله يسرى باشا ، لأنه قد يرضى على ما أعلم بعض الأحزاب .

ويسأله عبد الوهاب طلعت : إذا رئى تكليفكم بتأليف الوزارة فما رأيكم ؟ .

أجاب النحاس :

– مع شكرى الوافر على هذه الثقة فأنى أسمح لنفسى بالاعتذار عنها للأسباب الآتية :

أولاً : لأنى أقصد حقيقة إلى وحدة الأمة فى هذه الظروف الدقيقة . ولا يتيسر الوصول إلى هذا الغرض بكونى أتولى الوزارة . . لأن فى هذا إغضاباً للبعض الآخرين من الأحزاب ، إن لم يكن جميعهم .

ثانياً : لأنى لم أستطع العمل فى الظروف الحاضرة مع أدوات الحكم . . المقصود الموظفون ، الذين ركزت إدارة الحكم فيها فى أثناء هذا الانقلاب من وقت إقالتى إلى الآن فى جميع المصالح العمومية – برفت كل من كان يعتبر أن ميوله وفدية ، أو أنه يمت إلىّ بصلة قرابة أو نسب أو مصاهرة ، أو بمبدأ وفدى ، وإحلال غيرهم محلهم ، أو بترقية الآخرين ترقية استثنائية وثابتة لكسب معونتهم لمن خلفونا فى الحكم وبغضهم لنا ، أو بركن الآخرين من الفريق المقول بأنه منسوب لنا ، واحتضان غيرهم ، أو بنقل الفريق الأول من المراكز الهامة

وإحلال غيرهم محلهم . . إلخ .

وفى هذه الظروف تكون مهمة الحكم غير مجدية ولا أريد كما قلت فى اجتماع قصر عابدين أن أحدث انقلابا فى الظروف الحاضرة ، حتى أستطيع الحكم مع رجال يخلصون لى وللملك وللوطن . . لأنى إن أقدمت على هذا الانقلاب أبعدت عنى جميع الأحزاب تقريباً فضلاً عن أن حالة الحرب التى هى على الأبواب لا تتطلب ذلك .

فمن الحكمة إذن أن تتولى الأمر وزارة محايدة وهى تستطيع أن تعمل مع أداة الحكم الحالية بقدر الإمكان . . إلا من تأخذ عليه الإخلال بوظيفته فى عمل هذه الوزارة المحايدة معهم ، وبذلك يكون الجميع مطمئنين إلى العمل معها لمصلحة البلاد .

ويطلب عبد الوهاب طلعت معرفة موقف النحاس إذا رأى الملك ألا مندوحة من تكليفه الوزارة .

يرد النحاس :

– إذا كنت سأوافق سأستميحه فى عمل كل التغييرات .

* * *

إن المحاضر كما سجلها عبد الوهاب طلعت لا تختلف إلا فى بعض تفاصيل ثانوية عن تلك التى وردت فى مذكرات كيلرن أو وثائق وزارة الخارجية البريطانية .

والظاهرة التى تلفت النظر فى كل ما جرى . . إن هذه الاجتماعات . . وهذه الدعوة لتأليف وزارة ائتلافية هى التى تكررت بعد ذلك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ .

الاختلاف الوحيد هو أنه فى ٤ فبراير كان هناك إصرار من الإنجليز على أن يؤلف النحاس الوزارة .

ولكن فى يونية ١٩٤٠ كان الإنجليز مترددين . . لم يحسموا أمرهم على التفاهم مع الوفد . . وبالإضافة إلى ذلك فإن اللورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا – فى يونية ١٩٤٠ – كان هو الذى ندد بتصرف النحاس . ومذكراته الشهيرة للسفارة .

إن النحاس تولى الوزارة عام ٣٦ عندما كان إيدن وزيراً للخارجية والسير مايلز لامبسون سفيراً لبريطانيا فى القاهرة .

والنحاس يتولى الوزارة عام ١٩٤٢ عندما يعود إيدن لوزارة الخارجية فى حكومة تشرشل . . !

* * *

ومن هنا يجتمع فاروق بعبد اللطيف طلعت . . وبستشير أحمد ماهر رئيس مجلس

النواب ، ومحمد محمود خليل رئيس الشيوخ ، ومحمود حسن باشا كبير المستشارين الملكيين . .
ثم يختار حسن صبرى باشا رئيسا لوزراء مصر . . !

ويلتقى فاروق بالسفير البريطانى ويبلغه تعيين حسن صبرى باشا ويقول :

– ستتخذ الحكومة الجديدة كل الإجراءات المطلوبة .

وستنفذ هذه الحكومة معاهدة ١٩٣٦ نصاً وروحاً وبالذات المادة الخامسة .

وهذه المادة تنص على ألا يتبنى أى طرف سياسة خارجية تتعارض مع المعاهدة . . أو يعقد اتفاقات سياسية تتعارض مع إجراءات ونصوص المعاهدة .

ويقول فاروق :

لقد وافقت على أن تسعى الحكومة إلى تعبئة الرأى العام معها لتنفيذ هذه السياسة . . وأعد بأن يساند القصر – بإخلاص هذه الحكومة .

قال السفير :

– ستكون النتائج خطيرة . . إذا فشلت هذه التجربة .

رده الملك :

– أكد لفخامة اللورد . . يعنى هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا أن الاتهامات بأنى ضد بريطانيا كاذبة . . !

إن النحاس طلب أن أتولى بنفسى – أى الملك – رئاسة الوزارة .

ويوالى فاروق شرح مضمون – إن لم يكن نص الحديث – بينه وبين رئيس وزرائه مصطفى النحاس . . فإن كل الأحاديث الرسمية فى ذلك العهد كان السفير البريطانى طرفاً فيها . . حتى ولو كان غائباً عنها .

وكان كل مسئول يمثل الأذن الثالثة للسفير البريطانى . . يستمع بالنيابة عنه . . ويقدم له التقرير الشامل . .

قال الملك :

– لقد أخبرت النحاس باشا أن تأليف الوزارة ليس من مسئولياتى . . ونظراً لموقف النحاس السلبى . . فقد اخترت الرجل الوحيد الذى أعرف أنه يتمتع بثقتكم كاملة – أى ثقة الإنجليز – وكلفته بتشكيل الوزارة ، من أعضاء يؤيدون الإنجليز .

وأضاف فاروق :

– إنى أخشى شيئاً واحداً ، وهو أن الحكومة ليست قوية ، ولكنها – بغير شك – تؤيدكم . . أى تؤيد الإنجليز ! !

وتعلن أسماء الوزراء . . عبد الحميد سليمان . . محمد حلمى عيسى ، محمود فهمى النقراشى ، صليب سامى ، حافظ رمضان ، محمد حسين هيكل ، إبراهيم عبد الهادى . . أعضاء الوزارة التى رأى ملك مصر أنها ليست قوية . . وأن ميول أعضائها بريطانية !

إن اثنين من هؤلاء الوزراء يتوليان فيما بعد رئاسة الوزارة : وهما إبراهيم عبد الهادى والنقراشى . .

. . والنقراشى كان متهماً بالتحريض على اغتيال السيردار السير لى ستاك . . وعارض الإنجليز عام ١٩٣٦ اشتراكه فى مفاوضات المعاهدة ! !

وأحد هؤلاء الوزراء رئيس الحزب الوطنى - حافظ رمضان . . صاحب مبدأ « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، والرجل الذى قبل الوزارة لأول مرة فى عهد محمد محمود وقال إن السبب رغبته فى أن يجعل الناس يفهمون مبادئ الحزب الوطنى وواحد من بين الوزراء يصبح رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين وهو الدكتور محمد حسين هيكل باشا .

* * *

وهنا نتوقف . . .

إن على ماهر فى معظم اجتماعاته بالسفير كان يدعو لحضور الجنرال ولسون ليكون أشبه بالشاهد . . على تعاونه - تعاون على ماهر - مع الإنجليز .

وقال على ماهر إن السبب فى ذلك هو أنه لا يثق فى السفير ويخشى تحريف أحاديثه ! !

وهذا اعتراف يدين على ماهر . . ولا يحميه !

يوم قبول استقالة على ماهر يبعث إليه ولسون بخطاب يشكره فيه على مساعداته للقوات البريطانية فى أثناء توليه الوزارة .

وعلى ماهر يقدم صورة من هذا الخطاب إلى محكمة الجنايات فى أثناء شهادته فى قضية أمين عثمان عام ١٩٤٧ .

ولكن السفير البريطانى عام ١٩٤٠ يصرخ - فى برقية - لحكومته قائلاً : « إن ولسون فى نوبة كرم خاطئة . . كتب خطاباً إلى على ماهر يشكره . .

إن ولسون يبعث بهذا الخطاب دون استشارتنا - أى السفارة . . وهذه حركة خاطئة ، ولكنها مقصودة بعناية .

إن على ماهر ينشر الآن فى كل مكان أن العسكريين البريطانيين يؤيدونه . . والسفارة البريطانية هى وحدها التى تخذله » !